مجلة المعجمية - تونس

ع 20

2004

الحبيب النصّراوي
المعهد العالي للغات بتونس

التوليد بالاقتراض في مصطلحات الصيدلة خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي): تطبيق على «الكتاب المنصوري في الطبّ» للرازي

1- تمهيد:

1-1- يقوم هذا العمل على دراسة وصفية استقرائية لظاهرة لسانيّة معيّنة قد عرفتها اللغة العربية أثناء حركة الإنشاء العلمي، هي ظاهرة الاقتراض. فليس عملنا إذن في الحديث عن الاقتراض عامة، بل هو في الاقتراض باعتباره «قاعدة» من قواعد التوليد في المعجم. وهو مبحث واسع متشعب، لا أحد اليوم ينكر أهميته في الدرس اللساني الحديث، ودوره في تطوّر اللغة عامة، وتطوّر المعجم خاصة. وهو لدى المتكلم من أيسر قواعد التوليد استعمالا وخاصة في البيئات المتناخمة المتداخلة اللغات- لحلّ معضلة التواصل مع الواقع والتأثير فيه، إمّا اضطرارا وإما بحثا عن تعبيرية ينشدها في تقليد نماذج أخرى. لهذا يصنّف الدارسون[1] الاقتراض بمفهومه العام إلى صنفين: أحدهما إبلاغيّ (dénotatif) ويتعلّق بتسمية الأشياء والمفاهيم التي تظهر في بلدان أجنبية؛ والآخر إيحائيّ (connotatif) وهو غير ضروريّ، يرجع إلى رغبة المتكلم في التأقلم مع واقع المجتمعات الراقية ومفاهيمها المهيمنة حضاريا.

ولئن صحّ هذا التصنيف في ألفاظ اللغة العامة، فإنّه لا يبدو كذلك في مصطلحات العلوم وخاصة في القديم. فقد كان من العسير اقتراض مصطلحات غير ضرورية لأنّ ذلك يعدّ من الاقتراض «البذخي» الذي لم يكن من أهداف العلماء أصلا. فقد اضطرّ العلماء ، أثناء نقل المصطلحات الأعجمية، إلى اقتراض ما كان منها غير معروف في اللغة العربية، وما غلب منها استعماله بلغته الأجنبية فاشتهر ولم تبق حاجة إلى إيجاد مقابل له في العربية. فهو بلغته أدقّ. ولا شكّ أنّ ذلك الاقتراض كان يتماشى وطبيعة «حركة الإنشاء» العلمي التي قامت على الاقتراض الثقافي أساسا، ومن الطبيعي أن يرافق الاقتراضَ الثقافي اقتراض لغويّ معجميّ.

ويعدّ الدارسون مبحث «العلوم القديمة» -- أو «علوم العجم» – حينئذ مبحثا دخيلا في الثقافة العربية، تضافرت في تكوين رصيده المعجميّ لغات أعجمية أصلا، وهذا ما يجعله في صلب قضايا الاقتراض[2]. وقد انتقل إلى العربية عن طريق حركة ترجمة رائدة، أصبحت الآن معالمها وأعلامها وآثارها الجليلة غير خافية على الدارسين. فقد حظيت علوم اليونان

باهتمام علماء العرب، وإليهم يرجع فضل الحفاظ عليها وترجمتها والإضافة إليها.

1-2- ووجود حركة الترجمة في تاريخ العلوم العربية يعني أنّ ينابيع العلوم الصحيحة لم تكن عربية خالصة. بل إنّ العلماء العرب قد قاموا بنقل أغلب هذه العلوم من اللغات الأعجمية منذ أواسط القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. فترجمت النصوص اليونانية خاصة إلى اللغة العربية. ونخصّ بالذكر من تلك النصوص: كتاب «المقالات الخمس في هيولى الطبّ» لديوسقريديس الذي عاش في القرن الأول الميلادي، وكتاب «الأدوية المفردة» لجالينوس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي. والملاحظ أنّ مترجمي هذين الكتابين: اصطفن بن بسيل وحنين بن إسحاق قد تركا مصطلحات يونانية كثيرة على حالها الأعجمية، لم يستطيعا نقلها إلى العربية[3]. ثم ظهرت المؤلفات العربية الأولى في هذه العلوم قائمة على الاقتراض الثقافي أيضا ، نذكر منها: مؤلفات يوحنا بن ماسويه (ت 243هـ/ 857م) مثل «التمام والكمال»، و«إصلاح الأدوية المسهلة»؛ ومؤلفات حنين بن إسحاق (ت260هـ/ 873م) مثل «العشر مقالات في العين»، و«كتاب المسائل للمتعلمين»، و«كتاب الأغذية»...[4].

وقد صاحب هذه الحركة مظهران من الاقتراض: المظهر الأول هو الاقتراض المعجمي التام؛ والمظهر الثاني هو الاقتراض الدلالي. ونقصد بالاقتراض المعجمي التام نقل الدليل تاما بداله ومدلوله؛ ونقصد بالاقتراض الدلالي نقل المدلول دون الدال (أي نقل المفهوم الأعجمي بدال عربيّ) [5].

وقد ظهرت هذه المقترضات بصنفيها في جلّ المؤلفات العلمية العربية التي صنفت في القرن الثالث الهجري وما بعده، واستمرت في المؤلفات التي ظهرت في القرون التالية حتى القرن السابع الهجري. لكنّ العلوم تتفاوت في درجة قبولها لصنفي المقترضات على أساس أنّ من هذه العلوم ما هو مؤسس على مصطلحات مرتبطة بمفاهيم قابلة للتجريد (وما هو قابل للتجريد قابل للترجمة بمقابل عربي مثل مصطلحات الفلسفة والرياضيات..)؛ ومنها علوم أخرى مؤسسة على مصطلحات تحمل مفاهيم ترجع إلى أشياء غير قابلة للتجريد، ومن هذه العلوم الصيدلة، فإنّ أهمّ ما تتأسّس عليه الصيدلة هو علم العقاقيروخاصة ما يعرف منها بالأدوية المفردة، والأدوية المفردة عند القدماء كانت إما نباتية وإما حيوانية وإما معدنية، ونقل أسماء تلك الأدوية إلى العربية يخضع لطبيعة المسمّيات ، وهي ثلاثة أصناف : فمنها صنف أول يمكن ترجمة تسمياته بمقابلاتها العربية لأنّها موجودة في الثقافة العربية (ومن أمثلة ذلك نذكر: من مصطلحات النبات «الحنّاء»، و«العوسج»..؛ ومن مصطلحات الحيوان «الأنمساح»، و«الجراد»..؛ ومن مصطلحات المعادن: «الذهب»، و«العقيق»..) [6]؛ ومنها صنف ثان لا تعرفه الثقافة العربية، ولكن يمكن نقل تسمياته

عن طريق ترجمتها ترجمة حرفية، وتلك الترجمة الحرفية هي التي تسمّى الاقتراض الدلالي (ومن أمثلة ذلك في كتاب «الجامع» لابن البيطار مثلا ترجمة مصطلح «قونسْ باطسْ»بقوله: «تفسيره علّيق الكلب، لأنّ «قونس» باليونانية: كلب، و«باطس»: «عليق»؛ وترجمته مصطلح «أوراسالينون» بقوله: «هو الكرفس الجبلي، لأنّ «أورا» باليوناني جبل، و«سالينن كرفس»..) [7]؛ ومنها صنف ثالث ذو منزلة مهمّة، وهو يشمل المصطلحات الأعجمية التي لم يستطيع المترجمون إيجاد مقابلات عربية لها، لمقابلتها بها، ولم يستطيعوا ترجمتها ترجمة حرفية، فاضطرّوا حينئذ إلى نقلها إلى العربية باقتراضها اقتراضا تاما.

من هذا الباب دخلت المقترضات المعجمية العلوم العربية، وخاصة في الأدوية المفردة، وقد أدّى ذلك إلى انتشار مصطلحات كثيرة طبية وصيدلية في المؤلفات العربية مقترضة من اللغتين اليونانية والفارسية، ومن تلك المؤلفات كتاب «المنصوري في الطب» لأبي بكر الرازي (ت . 313 هـ / 925 م) وخاصة في مقالته الثالثة المخصصة للأدوية والأغذية، وهي موضوع بحثنا لدراسة الاقتراض المعجمي من حيث هو قاعدة من قواعد التوليد في المعجم أثناء مرحلة الإنشاء العلمي، وخاصة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي (وقد ألّف الرازي الكتاب المنصوري في السنوات الأخيرة من القرن الثالث).

2 – منهج الرازي :

2– 1 – لئن عدّ الاقتراض ظاهرة لسانية خلافية، باعتباره يخرق نظام اللغة المتقبّلة، بما يحدثه فيها من أعجمية قد تؤدّي إلى تجاهل رصيدها الأصيل، فإنّه يمكن، من ناحية أخرى، النظر إليه على أنّه مظهر لساني ضروريّ، لأنّه يثري رصيد اللغة المورد إذ يسدّ الخانات الفارغة فيها بما كان ينقصها من وحدات معجمية أو دلالات. فإنّ من شروطه أن يكون معبّرا عن حقائق ليس لها ما يقابلها في اللغة المورد، وهو ما يضمن حصوله على حيّز في الاستعمال اللغوي[8]. من هذه الزاوية تنزّل الدّراسة المعجمية الاقتراضَ – باعتباره ضرورةً – ضمن حركة التجديد اللغوي[9] لأنه من العوامل الأساسية في تطوير المعجم[10].

على أنّ لطبيعة المقترضات التي سنعالج في هذا البحث خصوصية، وهي أنّها مصطلحات يمكن أن يكون لمعالجتها معالجة لسانية معجمية بُعدٌ آخر يُضاف إلى بعدها العلمي، وهو ما تمثله الحركة الاصطلاحية عند العرب – في مرحلة متقدمة من تاريخ العلوم عندهم– من دليل على أهمية الاعتماد على قاعدة الاقتراض في توسيع المصطلحية العربية وإثراء معجمها. فقد عدّ هذا الضرب من التوليد المصطلحي أكثر اطّرادا وتواترا في كتب العلوم من قواعد التوليد الأخرى.

لذلك سيكون هدفنا من هذا العمل البحث في الأسس المنهجية والنظرية التي اعتمدها العلماء العرب في توليد المصطلح عن طريق قاعدة الاقتراض، اعتمادا على مصدر بعينه كان من أهم ما أنتجته حركة الإنشاء العلمي العربي من الآثار، وهو الكتاب «المنصوري في الطبّ» لأبي بكر الرازي. والكتاب مقسّم إلى عشر مقالات، سنهتمّ بالمقالة الثالثة منها، وهي «في تعرّف قوى الأغذية والأدوية»، وتشتمل على أربعة وعشرين فصلا، سننظر منها في الفصل الرابع والعشرين ، وهو « في الأدوية التي يكثر استعمالها»، ويضمّ مسردا في مصطلحات الصيدلة، قد تداخلت فيه اللغات، وهو يمثّل لذلك مادة مناسبة لدرس ظاهرة الاقتراض في المؤلفات الطبية والصيدلية العربية في لقديم، وعلاقتها بمسألة التوليد المصطلحي في العربية.

فما هي أصول هذا الاقتراض ولغاته؟ وما مدى إنتاجيته باعتباره قاعدة توليدية لإثراء المعجم المختصّ في مجال علم محدّد هو علم الصيدلة؟

2- 2 - يكشف الرصيد المصطلحي المعتمد في المقالة المدروسة – وكذلك في كتب الطب والصيدلة العربية عامة – أنّ الاقتراض كان فيها سمة بارزة، فهو أداة لغوية تعكس حركة اللغات في تفاعلها الحضاري والثقافي، وتكشف ما بين الجماعات اللغوية المتجاورة من علاقات متنوعة[11]، منها العلاقات التي يحدثها انتشار العلوم وما يقتضيه من تقارض بين اللغات أو نتيجة انتقال الأشياء والمفاهيم المرتبطة بها.

لكنّ ما يلفت الانتباه أنّ الرازي لم يسجّل في هذا الكتاب موقفا نظريّا من مسألة التوليد بالاقتراض أو من المستويات اللغوية عامة، ولم يول في عمله المصطلحي اهتماما لقضايا التداخل اللغوي. وهو ما يوحي في اعتقادنا، ببداهة المسألة في نظره إذ الأمر متعلق بلغة العلوم عامة. فهو فيما يبدو ما كان يرى في الاقتراض –من حيث تأديته لوظيفة علمية بأمانة ودقّة- عائقا لغويّا، بل كان يقف من المسألة اللغوية موقف العالم الذي يهمّه البحث عن النافع لإيفاء العلم حقّه من الوضوح، فاستعمل لذلك لغة علمية وعملية تطغى عليها المصطلحات السائدة عالميا، وتعتمد الاقتراض وسيلة عونا لتجاوز المصاعب والوصول إلى الأهداف العلميّة. فاتّخذ الاقتراض لذلك قاعدة توليديّة وعملية لإنجاز عمله الاصطلاحي.

وما يدعونا إلى تغليب هذا التصوّر المنهجي عنده أنّه لم يظهر تحيّزا للغة العربية، ولم يتشدد في اشتراط استعمال الفصيح ، ولم يبحث عن مقابلات عربية قد لا تكون معروفة أو دقيقة، وقد تحوجُ إلى استعمال المصطلحات الأعجمية معها لفهمها. فكان اعتماده على الاقتراض إذن ضربا من طلب الدقة والوضوح، وقد لاحظنا أحيانا وجود المقابل العربيّ للمصطلح الأعجميّ، لكنّ الرازي يختار المصطلح الأعجمي لدقّته وانتشاره وبعده عن اللبس، ومن أمثلة ذلك نذكر:

-أسقيل:	يوناني، يقال له بالعربية:	العنصل أو بصل الفأر[12]؛
-شيلم:	فارسي، بالعربية:	الزوان [13]؛
-كزمازك:	فارسي، بالعربية:	حبّ الأثل[14]؛
-مصطكى:	يونانيّ، بالعربية:	العلك الرومي[15]..

وهذا دليل في اعتقادنا على أهمية الاعتبارات العلمية الخالصة عنده. وهو ما يجعل الاقتراض قضية منهجية دقيقة ذات قيمة وظائفية في تبليغ النّصّ العلمي، وليس هو وسيلة لمجرّد التبسيط والتيسير.

ويمكن أن نستخلص أهم الخصائص المنهجية التي قام عليها عمل الرازي المصطلحي في اعتماده على الاقتراض:

أ- إحلال الاقتراض مكانة مشروعة ضمن قواعد التوليد المعجمي المعلومة في العربية.

ب- تنزيل المصطلح الأعجمي منزلة مهمة في كتابه. إذ رأى أنّ العربية لا تستطيع أن تلبّي حاجاتها إلى التعبير عن المفاهيم العلمية الجديدة بمفردها، مكتفية برصيدها المعجمي الذاتي؛

ج- ضعف الاعتماد على قواعد التوليد الأخرى كالمجاز والترجمة الحرفية أو الاشتقاق.

3 - اللغات المقرضة:

يمثّل التطور المعرفي عادة عامل ضغط من أجل تطوير اللغة، من خلال وسائلها الداخلية وعن طريق الاقتراض من اللغات الأخرى، خاصة عندما تكون الثقافات والحضارات في اتّصال مباشر يسمح بظهور مفردات أجنبية. وقد كانت العربية على صلة قوية بلغات حضارية كبرى مثل اليونانية والفارسية واللاتينية، وهي لغات رافقت دائما العربية في مراحل ازدهارها العلمي، وكانت في الغالب المعوّل عليها في مجال العلوم الصحيحة خاصة. كما كانت تجد امتدادها أيضا من خلال ما ترسّب في محيطها السامي من فروع لغوية كالآرامية والسريانية لم تنقطع عن تزويد العربية ببعض ما تحتاج إليه [16].

وقد توسّعت هذه الحقيقة بتوسّع مجال العربية في العصور الإسلامية اللاحقة، بما أنها أصبحت لغة أكبر ثقافة سائدة، ولهذا ستتوسّع علاقاتها لتشمل لغات كثيرة، بعضها يمثّل لغات شعوب أصبحت تتكلّم العربية دون أن تتخلّى تماما عن مخزونها في ما ليس له وجود في العربية من أسماء الأشياء والموجودات الحسية والمجردة. وقد احتاجت العربية فعلا إلى هذه اللغات القديمة لنقل بعض أسماء المواليد خاصة في العلوم الصيدلية؛ وبعضها الآخر يمثّل لغات حضارية ذات شأن في ازدهار الثقافة والعلوم، ولذلك عندما أرست مفاهيمها العلمية حمّلتها

أسماءها الدالة على أصالتها، تبرهن على أنّ الاقتراض استجابة لبيئة المصطلح المقترض، كما أنّه دليل على نوع من التفوّق الثقافي. ولذلك نجد أنّ اللغات التي أقرضت العربية صنفان:

أ- صنف أول تمثّله لغات ذات منزلة ضعيفة، وهي في الغالب لغات تنتمي معها العربية إلى أصل ساميّ واحد، مثل السريانية والآرامية.. ولعلّ استفادة العربية منها لا يخرج عمّا بين هذه اللغات والعربية من رصيد قديم مشترك مازالت آثاره قائمة في الاستعمال؛

ب- صنف ثان قوي المنزلة تمثله لغتان أساسيتان لهما إشعاع ثقافي وحضاري كبير سبقتا العربية في تطوّر العلوم ووضع مصطلحاتها، وهما اليونانية والفارسية، وعدد مصطلحاتهما مائتان وأحد عشر (211) مصطلحا، وسنهتمّ في بحثنا بمعالجة مصطلحات هاتين اللغتين فقط.

ويمكن بالنظر إلى اللوحة التالية تبيّن أثر هاتين اللغتين ومدى الإضافة التي أفادها العلم العربي من صهر ما تحمّل له منهما في روافد مشتركة لتكوين علم إنساني شامل.

مصطلحات عربية	فارسية	يونانية	المجموع
83	82	46	112
39,4٪	38,8٪	22٪	100٪

غير أنّ هذا النوع من المقترضات يطرح على العربية مشكل التعامل مع لغات تختلف عنها اختلافا كبيرا في مستويي الأصوات والبنية الصرفية خاصة. لهذا فإنّ هذا الضرب من الاقتراض غالبا ما تصحبه معالجات قصد التخفيف من عجمته ما أمكن.

ومن أهم تلك المعالجات تغليب واضح لمصطلحات اللغة الفارسية على مصطلحات اللغة اليونانية ، رغم أنّ اليونانية هي مصدر العلوم . فقد كان العرب يعدّون الفارسية لغة إسلامية لا تخرجهم عن الإطار الذهني والعقائدي للثقافة الإسلامية. ولذلك كانوا يعتبرون اليونانية هي اللغة الأعجمية حق، ويسعون إلى تخفيف عجمتها باستعمال وسيط فارسي يبدو أيسر تقبّلا في اللغة العربية. بل إنّ من هذه المصطلحات الفارسية ما كان مستعملا في البلاد العربية وتنوسي أصله الفارسي ، فإنّ من مصطلحات المواليد خاصة ما تعرّب من زمان وأصبح وسيلة لرفع العجمة عن المصطلحات اليونانية الحديثة الظهور في العلوم المترجمة.

ومع ذلك فإنّ قسما مهمّا من هذه المصطلحات قد ظلّ محافظا على عجمته، وليس ذلك بغريب في العربية، فقد قال سيبويه: «وربّما تركوا الاسم على حاله، إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن»[17].

4 - من مظاهر تعريب المصطلح المقترض:

ويمكن إذن تصنيف المصطلحات المقترضة في المقالة الثالثة من الكتاب المنصوري إلى ثلاثة أصناف:

4-1- مصطلحات موافقة لأبنية العربية، فهي مخضعة في الأصل لأقيسة العربية ولا نكاد نلحظ فيها اختلافا عن العربية في البنية أو في الأصوات. فإنّ من الأصول الفارسية خاصة ما لا يختلف عن الكلمة العربية إلا في معناه، على حدّ قول الأب رفائيل نخلة اليسوعي[19]. وهي تعطي في كثير من الحالات أبنية تناسب أبنية في الأسماء أو الصفات الموجودة أصلا في العربية. وهو ما يثبته الجدول التالي[19]:

المصطلح	لغته	أصله
1. أشْنة[20]	فارسية	أشْنهْ
2. بُسّد [21]	فارسية	بسّد
3. بلاذر[22]	فارسية	بلادر
4. بُلبوس [23]	يونانية	Bolbós
5. بلسم[24]	يونانية	valsamon
6. بهمن[25]	فارسية	بهمن
7. سرو[26]	فارسية	سرو
8. شبرم[27]	فارسية	شبرم
9. طباشير[28]	فارسية	تباشير
10. عصفر[29]	فارسية	أصبور
11. غار[30]	فارسية	غار
12. غافت[31]	فارسية	غافت
13. فو[32]	يونانية	Phû
14. كبابة[33]	فارسية	كبابه
15. لك[34]	فارسية	لك
16. مومياني [35]	يونانية	Mûmia
17. وج [36]	فارسية	وج

4-2- مصطلحات جرى تغيير بعض عناصرها الصوتية أو الصرفية أو كليهما معا لتوافق البنية العربية. ففي مستوى الأصوات تخالف اليونانية العربية في: (g, p) وهما تنقلان في الغالب بالباء والفاء ، وبالجيم والغين؛ وتخالف الفارسية العربية في الباء المثلثة النقط التحتية (p)، و الجيم المثلثة النقط التحتية (tch)، و الزاي المثلثة النقط الفوقية(dj)، والكاف المثلثة النقط الفوقية ، وقد تكتب بخط مائل فوقها (g)، وهي تنقل في الغالب في العربية إلى: فاء وباء وزاي

وجيم وغين؛ كما لاحظنا انقال الدال الفارسية إلى ذال (بادآورد: باذأورد)؛ والهاء في آخر الكلمة إلى جيم (شيتره: شيدرج) .

كما تخالف اليونانية والفارسية في مستوى البنية الصرفية – باعتبارهما لغتين ذاتي بنية سلسلية – العربية باعتبارها لغة ذات بنية غير سلسلية لا تخرج المفردة فيها عن نظام صيغيّ معلوم في البنية الصرفية، وقد أُدخِلَتْ في العربية على البنية الأعجمية تغييراتٌ في الحركات أساسا كما هو في: (نَطْرُون وأصلها اليوناني: Nitron)؛ أو في الحروف كما هو في: (دِفْلَى: وأصلها اليوناني: Daphné ؛ أو في الحركات والحروف معا كما في: (غاريقون، وأصلها اليوناني: Agarikon).. إضافة إلى أنّ العربية – وهي لغة لا يُبدأ فيها بساكن – قد تضيف همزة أو ألف اعتماد لتيسير النطق بالكلمات المبدوءة بساكن (مثل أسقيل: وأصلها اليوناني: Skilla):

المصطلح	لغته	أصله	نوع التغيير
1 – أسارون[37]	يونانية	Asaron	إطالة الحركة الأخيرة
2 – أسقيل(أشقيل)[38]	يونانية	Skilla	حروف وحركات
3 – أشّق[39]	فارسية	أشه	--
4 – أملج[40]	فارسية	أمله	قلب الهاء جيما
5 – أنجرة[41]	فارسية	إنجره	قلب حركة الحرف الأول
6 – بُرُنْج[42]	فارسية	برَنْك	حروف وحركات
7 – بليلج[43]	فارسية	بليله	قلب الهاء جيما
8 – بنج[44]	فارسية	بنك	قلب الكاف جيما
9 – بورق[45]	فارسية	بوره	قلب الهاء قافا
10 – جلّنار[46]	فارسية	كل إنار	--
11 – حماما[47]	يونانية	Amômon	--
12 – دفلى[48]	يونانية	Daphné	قلب النون لاما
13 – درونج[49]	فارسية	درونك	قلب الكاف جيما
14 – راتينج[50]	يونانية	Rhétiné	حروف وحركات
15 – زاج[51]	فارسية	زاك	قلب الكاف زايا
16 – زرنب[52]	فارسية	زرناب	تقصير حركة النون الطويلة
17 – زرنيخ[53]	يونانية	Arsenikôn	حروف وحركات
18 – زوفا[54]	يونانية	Hyssôpos	--
19 – زيْبق[55]	فارسية	زيوهْ	--

20 - ساذج[56]	فارسية	سادَهْ	قلب الهاء جيما
21 - شنجار[57]	فارسية	شنكار	قلب الكاف جيما
21 - غاريقون(أغاريقون)[58]	يونانية	Agarikon	--
23 - قاقلة [59]	فارسية	قاقلّة	--
24 - قاقاليا[60]	يونانية	Kakalía	--
25 - قلقاس[61]	يونانية	Kolokássion	--
26 - قيشور[62]	يونانية	Kissêris	--
27 - كرنب[63]	يونانية	Krámbê	حركات
28 - كندر[64]	يونانية	Khóndros	حروف وحركات
29 - كهربا [65]	فارسية	كاهْ رُبا	حركات
30 - مغد[66]	فارسية	مغد	حركات
31 - نطرون	يونانية	Nitron	حركات
32 - ط [67]	يونانية	Náphtha	حركات
33 - هليلج[68]	فارسية	هليله	قلب الهاء جيما
34 - هيْل [69]	فارسية	êlâ	حروف وحركات

4 -3- مصطلحات حافظت على بنيتها الأعجمية رغم بعض التغيرات الصوتية أو الصرفية:

المصطلح	لغته	أصله
1. أفثيمون [70]	يونانية	Epithymon
2. أفسنتين[71]	يونانية	Apsinthion
3. أقاقيا [72]	يونانية	Akakiá
4. أنزروت[73]	فارسية	أنزروت
5. بسفايج(بسبايج)[74]	فارسية	بَسْ بايكْ
6. تافسيا [75]	يونانية	Thapsía
7. ترنجبين[76]	فارسية	ترنكبين
8. تشميزج[77]	فارسية	تشميزج
9. توتيا [78]	فارسية	طوْطوة
10. تودري[79]	فارسية	تودري
11. جبسين[80]	يونانية	Gypsos
12. جَبْلَهُنْك [81]	فارسية	جبْرْ آهَنْكْ
13. جنطيانا [82]	يونانية	Gentianê

.14	رازينج[83]	فارسية	رازْ يانهْ
.15	ريوند[84]	فارسية	راوند
.16	زَرَنباد[85]	فارسية	زُرُنْبادهْ
.17	سبْستان[86]	فارسية	سبستانْ
.18	سنبادج[87]	فارسية	سُنبادهْ
.19	سقمونيا[88]	يونانية	Skammônia
.20	سقنقور[89]	يونانية	Skinkos
.21	سكبينج[90]	فارسية	سكبينهْ
.22	سندروس[91]	يونانية	Sandarakê
.23	شابابك(شابانك)[92]	فارسية	شاهبانك
.24	شادنج[93]	فارسية	شادنهْ
.25	شقرديون[94]	يونانية	Skórdion
.26	شوْنيز[95]	فارسية	شنيز
.27	شيطرج[96]	فارسية	شيترهْ
.28	شيلم[97]	فارسية	شلّمَكْ
.29	فاوانيا[98]	يونانية	Paiônia
.30	فراسيون[99]	يونانية	Prásion
.31	فربيون[100]	يونانية	Euphórbion
.32	فودنج[101]	فارسية	بودنهْ
.33	فوفل[102]	فارسية	پوپل
.34	قردامانا/ قردامن[103]	يونانية	Kárdamon
.35	قردمانا[104]	يونانية	-
.36	قنطوريون[105]	يونانية	Kentaurion
.37	قيشور[106]	يونانية	Kisséris
.38	كبيكج[107]	فارسية	كبيكج
.39	كزمازك[108]	فارسية	كزمازك
.40	مصطكي[109]	يونانية	Mastikhê
.41	نوشادر[110]	فارسية	نوشادر

ويمكن إرجاع الأصناف الثلاثة التي ذكرنا إلى صنفين كبيرين: الأول هو ما وافق ابنية العربية وأقيستها، سواء لموافقته لها في أصوله الأعجمية اليونانية والفارسية أو لأن تغييرات صوتية وصرفية قد دخلت عليه حتى وافق أقيسة العربية، وهذا الصنف هو الذي

يسمى عادة بالمعرّب؛ والصنف الثاني هو ما استعصى على أبنية العربية ولم يُدْخَلْ عليه تغيير فبقي محافظا على كثير أو قليل من مظاهر عجمته، وهذا يسمى عادة بالدخيل. ولم تكن منزلة «الدخيل» في المقالة الثالثة من الكتاب المنصوري ضعيفة، وهي دالة على أن الرازي كان يورد المصطلحات الأعجمية كما وجدها مقترضة في المصادر التي نقل عنها، فإن جل المصطلحات الأعجمية المقترضة التي وردت عنده قد ذكرت من قبل في كتب الأدوية المفردة المترجمة إلى العربية – مثل كتابي ديوسقريديس وجالينوس – أو المؤلفة بها في القرن الثالث الهجري . وقد اعتمدها لتأدية المفاهيم التي أراد وصفها دون أن يجتهد في تغييرها بإثبات ما ظهر لبعضها من مقابلات عربية بعد مرحلة اقتراضها أو بإخضاع الدخيل منها لأقيسة العربية لتندمج في نظام البنية العربية ، فكانت معاملته للمقترضات المعجمية معاملة معاصريه : فهي مقترضات ضرورية لأنها تسد خانات فارغة في المعجم العلمي العربي المختص في مجال الصيدلة ، وقد تواصل اعتمادها رغم ما ظهر لبعضها من مقابلات عربية تقوم مقامها لأن لغة العلم ما زالت في القرن الثالث أعجمية ، إذ كانت مفاهيمه والمصطلحات الحاملة لها هي المراجع المعتمدة.

5 - خاتمة:

إنّ الاقتراض مهما أحوجت الظروف إليه، يظلّ محلّ خلاف حول أهميته وخاصة حول اعتباره وسيلة من وسائل التوليد. فهو الطريق الأقصر ولكنّه الأخطر. إذ هو لا يخضع لمقاييس التوليد الذاتية القائمة على تطوّر داخليّ نتيجة ما تسمح به أنظمة اللغة ذاتها، بل هو تحوّل لغويّ يُلجأ إليه لحلّ صعوبة بنيوية أو لسدّ فراغات في اللغة المورد. لكنّه عائد أحيانا إلى اعتباطية لغوية يذكيها التداخل الثقافي، وهذا اعتراف بالطابع الكوني لظاهرة الاقتراض اللغوي.

وبسبب التسارع اللغوي في لغة العلوم خاصة، فإن الاقتراض يصبح مصدرا ممكنا لسدّ حاجات التطور بأيسر السبل. فإنّنا نجد آراء كثيرة منذ القديم تعتبره توسّعا أقرّه أئمة اللغة زمن ازدهارها. ورأيناه وسيلة من الوسائل المستخدمة في التوليد اللغوي، يطبّق بيسر في المصطلحات العلمية خاصة. وتتجاوز أهميته مجرّد نقل الأدلّة اللغوية، إلى التأقلم معها[111] لتصبح مكوّنا مهمّا من مكوّنات رصيدها اللغوي والمصطلحي.

لذلك عالجنا في بحثنا ظاهرة الاقتراض في العربية باعتبارها مظهرا توليديا لا غنى للغة عنه. وقد كان له في العربية وظيفة لغوية أساسية في المعجم المختصّ والعلم العربي عامة، والدليل على ذلك ما نجم عنه من ثراء مصطلحيّ فتح آفاق العلوم أمام الإبداع العربي، وكان من العوامل الحاسمة في بقاء العربية وتطورها. فإنّ العربية لم تصبح لغة حيّة علميّة قادرة على التعبير عن

مستحدثات العلوم والفنون بطاقاتها الداخلية فحسب، وإنّما أيضا بما أمدّتها به اللغات المجاورة لها من المستحدث من الألفاظ والمصطلحات والدلالات الجديدة، فتنزّلت آنذاك المنزلة الأولى بين لغات العالم، ما بين القرن الرابع والقرن الثامن الهجريين (العاشر والرابع عشر الميلاديين).

لكن ما كان لهذه الظاهرة أن تنجز ما أنجزته في الثقافة العربية في غياب أمرين: 1) مقدرة العربية على استيعاب الأعجمي وصهره في طاقتها الإنتاجية لتكوين ثقافة علمية ذات لغة حيّة طيّعة؛ و2)انتشار التسامح الثقافي والحضاري في المجتمع العربي الإسلامي بسبب ما كان عليه من استقلال وقوة. فإنّ العامل الأساسي في نجاح الاقتراض يعود إلى مدى اتّساع المجال الحيوي للغة المتقبلة، والمجال الاجتماعي للمتكلمين.

الحبيب النصراوي

التعاليق:

1 - Guilbert: La créativité lexicale, p91.

2 - ابن مراد : مسائل في المعجم، ص198.

3 - ينظر: ابن مراد: المعجم العلمي العربي المختصّ، ص ص84-85.

4 - نفسه، ص ص 76-78.

5 - ابن مراد : مسائل في المعجم ص ص50-52.

6 - ابن مراد: المعجم العلمي العربي المختص، ص92.

7 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي، 1/ 193.

8 - يقول (دوروي Deroy): لا يوجد توليد حقيقيّ إلاّ إذا تحقّق في استعمال جماعة لغوية في زمان معين. واستعمال المصطلح في لغة العلوم وتداوله في لغة العلماء هو معيار نجاحه، حتى إن لم يقرّه المعجم ولم يستعمله المجتمع. وهنا يكون انصهار المصطلح في أدنى مستوياته. بينما نراه في المستوى العلمي يفقد عجمته وينصهر في الموروث الثقافي ويصبح جزءا غير مرفوض منه. وليس المقصود بفقدان العجمة ما يطرأ على المظهر الصرفي والمظهر الصوتي من التغيير فحسب وإنّما المقصود بصفة خاصة البعد الدلالي المفهومي. وهنا نصل إلى مفهوم الاقتراض الحقيقي. أي الانصهار التام في اللغة المورد وصعوبة اكتشافه لأوّل وهلة. ولكنّه يبقى بالنسبة إلى المختصين قابلا للتّمييز من خلال تباينه مع الكلمات الفصيحة في درجة المحافظة على قواعد اللغة الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبية. فبما تحافظ الكلمات الفصيحة على الخضوع لتلك القواعد نرى المقترضات تشذّ عنها إن جزئيّا أو كلّيّا وفق درجة انصهارها في نظام اللغة المورد: (L'Emprunt linguistique, p .4).

9 - Taïeb Baccouche: L'Emprunt en Arabe moderne, Tunis 1993.

10 - Deroy: L' Emprunt linguistique, p .8.

11 - نفسه، ص7.

12 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي، 2/ 202-203.

13 - نفسه، 2/ 511-512.

14 - نفسه، 2/ 675-676.

15 - نفسه، 2/ 757.

16 - إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة، ص ص124-130.

17 - سيبويه : الكتاب، 4/ 304.

18 - انظر : غرائب اللغة العربية، ص214.

19 - اعتمدنا في هذا التصنيف أساسا على كتاب ابن مراد: «المصطلح الأعجمي»، الجزء الثاني.

20 - ابن مراد : المصطلح الأعجمي، 2/ 86-87.

21 - نفسه، 2/ 202-203.

22 - نفسه، 2/ 215.

23 - نفسه، 2/ 216-217.

24 - نفسه، 2/ 222.

25 - نفسه، 2/ 242-244.

26 - نفسه، 2/ 444.

27 - نفسه، 2/ 492.

28 - نفسه، 2/ 528.

29 - نفسه، 2/ 546-547.

30 - نفسه، 2/ 549.

31 - نفسه، 2/ 552-553.

32 - نفسه، 2/ 590-591.

33 - نفسه، 2/ 656.

34 - نفسه، 2/ 713.

35 - نفسه، 2/ 772-773.

36 - نفسه، 2/ 807-808.

37 - نفسه، 2/ 64-65.

38 - ابن مراد: دراسات في المعجم العربي، ص75.

39 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي، 2/ 83-84.

40 - نفسه، 2/ 122-124.

41 - نفسه، 2/ 136-137.

42 - نفسه، 2/ 190-191.

43 - نفسه، 2/ 229.

44 - نفسه، 2/ 230-231.

45 - نفسه، 2/ 247.

46 - نفسه، 2/ 312-313.

47 - نفسه، 2/ 339-340.

48 - نفسه، 2/ 381-382.

49 - نفسه، 2/ 379-380.

50 - نفسه، 2/ 412-413.

51 - نفسه، 2/ 398.

52 - نفسه، 2/ 418-419.

53 - نفسه، 2/ 419-420.

54 - نفسه، 2/ 428.

55 - نفسه، 2/ 430.

56 - نفسه، 2/ 435.

57 - نفسه، 2/ 504-505.

58 - نفسه، 2/ 550.

59 - نفسه، 2/ 603-604.

60 - نفسه، 603

61 - نفسه، 2/ 629.

62 - نفسه، 2/ 647.

63 - نفسه، 2/ 671-672.

64 - نفسه، 2/ 694-695.

65 - نفسه، 2/ 698.

66 - نفسه، 2/ 758-759.

67 - نفسه، 2/ 789.

68 - نفسه، 2/ 800.

69 - نفسه، 2/ 804.

70 - نفسه، 2/ 94-95.

71 - نفسه، 2/ 95-97 .

72 - نفسه، 2/ 102-103.

73 - نفسه، 2/ 141-142.

74 - ابن مراد: دراسات في المعجم العربي، ص83-84.

75 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي: 2/ 269.

76 - نفسه، 2/ 276-277.

77 - نفسه، 2/ 279.

78 - نفسه، 2/ 286-287.

79 - نفسه، 2/ 287-289.

80 - نفسه، 2/ 299-300.

81 - نفسه، 2/ 300.

82 - نفسه، 2/ 319-321.

83 - نفسه، 2/ 401.

84 - نخلة: غرائب، 230.

85 - المصطلح الأعجمي، 2/ 419.

86 - نفسه، 2/ 437-438.

87 - ابن مراد: دراسات في المعجم العربي، ص108.

88 - ابن مراد: المصطلح الأعجمي، 2/ 453-454.

89 - نفسه، 2/ 454-455.

90 - نفسه، 2/ 458.

91 - نفسه، 2/ 473-474.

92 - نفسه، 2/ 487.

93 - نفسه، 2/ 484.

94 - نفسه، 2/ 499.

95 - نفسه، 2/ 508-509.

96 - نفسه ، 2/ 511.

97 - نفسه،2/ 511-512.

98 - نفسه، 2/ 569-570.

99 - نفسه، 2/ 570-571.

100 - نفسه، 2/ 571-572.

101 - نفسه، 2/ 591-594.

102 - نفسه، 2/ 594-595.

103 - نفسه، 2/ 608-609.

104 - نفسه، 2/ 608-609.

105 - نفسه، 2/ 639.

106 - نفسه، 2/ 647.

107 - نفسه، 2/ 659-660.

108 - نفسه، 2/ 675-676.

109 - نفسه، 2/ 757.

110 - نفسه، 2/ 791-792.

111 - Guilbert: La créativité lexicale, p92.

- المصادر والمراجع:

1- العربية:

- ابن مراد ، إبراهيم: -المصطلح الأعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 (جزآن).
-دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
-المعجم العلمي العربي المختصّ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.
-مسائل في المعجم دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997.
- أنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة العربية، ط7، القاهرة، 1985.
- الرازي ، أبو بكر محمد بن زكرياء: المنصوري في الطبّ، تحقيق حازم البكري الصديقي، الكويت، 1987.
- سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار سحنون، تونس، 1990.
- اليسوعي ، الأب رفائيل نخلة: غرائب اللغة العربية، ط4، بيروت، 1986.

2- الأعجمية:

- Baccouche ,Taïeb : L'Emprunt en Arabe moderne, Tunis, 1993.
- Deroy , Louis :L'Emprunt linguistique, Paris, 1956.
- Frei , Henri :La grammaire des fautes, Paris, 1929.
- Guilbert , Louis : La créativité lexicale, Librairie Larousse, Paris, 1975.
- Picoche , Jacqueline. : Précis de lexicologie française, Editions Ferdinand Nathan, Paris ,1977.